تفسير ابن كثير

تفسير ابن كثير | شرح الشيخ عبدالرحمن العجلان | 01- سورة الزخرف | من الأية 15 إلى 65

عبدالرحمن العجلان

الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين وبعد اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ونادى فرعون في قومه قال يا قومي اليس لي ملك مصر - 00:00:00

قال يا قومي اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين فلولا القي عليه اسورة من ذهب او جاء معه الملائكة - 00:00:33

او جاء معه الملائكة مقترنين واستخف قومه فاطاعوه انهم كانوا قوما فاسقين سلام اسفونا انتقمنا منهم فاغرقناهم اغرقناهم اجمعين فجعلناهم سلفا ومثلا للاخرين هذه الايات الكريمة من سورة الزخرف جاءت بعد قوله جل وعلا - 00:01:01

ولقد ارسلنا موسى باياتنا الى فرعون وملأه فقال اني رسول رب العالمين فلما جاءهم باياتنا اذا هم منها يضحكون وما نريهم من اية الا هي اكبر من اختها واخذناهم بالعذاب لعلهم يراجعون - 00:01:47

وقالوا يا ايها الساحر ادعوا لنا ربك بما بما عهد عندك اننا لمهتدون فلما كشفنا عنهم العذاب اذا هم يمكثون ونادى فرعون في قومه احس فرعون اللعين الخوف والذعر فخشي - 00:02:13

من ترك قومه له واتباعهم لموسى عليه الصلاة والسلام بما جاءهم به من الايات الواضحة المتعددة المؤكدة على وحدانية الله جل وعلا وعلى صدق موسى عليه الصلاة والسلام فنادى في قومه - 00:02:46

جمعهم وخطبهم او كلف من ينوب عنه في ذلك ونظر الى المفاضلة فانه وبين موسى عليه الصلاة والسلام في شيء لا يستحق التفضيل ولا قيمة له عند الله والتمكن في الدنيا - 00:03:24

والمال والجاه والولد كل هذا لا قيمة له عند الله وانما قيمة العبد بتقواه وبطاعته لامر الله المفاضلة بين العباد كما قال الله جل وعلا ان اكرمكم عند الله اتقاكم - 00:04:02

والله جل وعلا يعطي المال والولد والجاه والملك والرئاسة لمن يحب ومن لا يحب وقد قال الله جل وعلا احذرني ومن خلقت وحيدا وجعلت له مالا ممدودا وبنين شهودا ومهدت له تمهيدا - 00:04:36

ثم يطمع ان ازيد كلا انه كان لاياتنا عميدا سارهقه صعودا المال والولد والجاه في الدنيا لا قيمة له عند الله ماذا قال فرعون لقومه قال يا قومي اليس لي ملك مصر - 00:05:06

الست بملك الست المتصرف التصرف التام في مصر واهلها وهذه الانهار تجري من تحت نهر النيل بفروعه افلا تبصرون ذلك فبماذا تبجح وتكبر وتعاظم الملك والانهار والتصرف الكامل في رعيته - 00:05:36

هذا الذي تبجح به سيكون سببا لهلاكه وكل من تعزز بغير الله اهلك به والعياذ بالله وكل من احتقر من لا يستحق التحقير كان سببا لهلاكه فرعون اللعين تبجح وتعزز - 00:06:23

في الانهار التي اجراها الله جل وعلا في بلاده وكان هلاكه فيها الماء وهو احتقر واستصغر شاءنا موسى عليه الصلاة والسلام وكان هلاكه على يده الانهار قال جمهور المفسرين المراد نهر - 00:07:02

النيل الجاري في مصر وقيل المراد بالانهار هنا القوات والرؤساء والجبابرة اي انها تسير بامره وتنفل ما يريده منها وقيل المراد بالانهار

الاموال العظيمة والقول الاول اولى وهو الظاهر والله اعلم - 00:07:35
وهذه الانهار تجري من تحتي يعني من تحت قصره ومملكته افلا تبصرون؟ يعني ترون ذلك فتستدلون بهذا على عظمة وملكي واستعلاء وانه لا يجوز لكم ان تبحثوا عن اله غيري - 00:08:08
ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين ام هنا يصح ان تكون المنقطعة والمتصلة المنقطعة المنفصلة بمعنى لانه يقول بل انا خير من هذا الذي هو مهين - 00:08:40
يعني مهان ولا كرامة له ولا ملك له ويتولى قبوره بنفسه لا يخدم مثلي كما يقول فرعون يعني يتولى اموره بنفسه ولا يخدمه غيره فام هنا قال جمع من المفسرين بمعنى - 00:09:14
بل انا خير من هذا الذي هو مهين وهي تسمى بل للاضراب عن الانتقال من شيء الى شيء ذكر فظله وعلوة ثم عرج على ذكر موسى عليه الصلاة والسلام محتقرا له - 00:09:50
قال ابو عبيدة ام بمعنى بل والمعنى قال فرعون لقومه بل انا خير وقيل بل هذه زائدة مزيدة للتوكيد يعني لما ذكر نفسه اليس لي ملك مصر فانا خير من هذا - 00:10:27
وقيل في الكلام حذف دل عليه السياق والمعنى افلا تبصرون تبصرون انا خير تبصرون ورؤيا هذا عن الخليل ابن احمد وسيبويه ويؤيد هذا ان عيسى الثقافي ويعقوب الحضرمي وقفا على امن - 00:10:56
على تقدير امن تبصرون يعني حينما قرأ اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحتي افلا تبصرون يعني ام تبصرون ثم بدأ الكلام فقال انا خير من هذا الذي هو مهين - 00:11:30
وعلى هذا تكون ام هذه متصلة وليست منقطعة لانه يقول الست خيرا يعني تقرير ام انا خير من هذا الذي هو مهين محتقر مهان لا يخدم ولا يكاد يبين لا يكاد يفصح - 00:12:01
لانه عليه الصلاة والسلام في لسانه لثقة بسبب الجمرة التي وضعها على فيه فحصل فيه عقدة كما قال الله جل وعلا عنه في سورة طه واحلل عقدة من لساني يفقه قولي - 00:12:31
ويرى بعض المفسرين ان هذه العقدة بسبب جمرة اخذها موسى ان موسى عليه الصلاة والسلام تربى في حجر فرعون وامرأته وكان طفلا صغيرا تعدى بيده على فرعون فخشي منه فرعون وهم بقتله - 00:12:58
فاعتذرت امرأة فرعون بان هذا لا يدرك هذا صبي ولا يعرف قدرك لا تمييز عنده والدليل على هذا اعطه جمرة وتمرة انظر يأخذ الجمرة قبل التمرة لانها اكثر وظاءة فجرب في هذا كما قال بعظ المفسرين فاخذ الجمرة ووظعها على لسانه فحصل فيه انعقاد - 00:13:29
واما الانعقاد فهو محقق لانه وارد في القرآن والله اعلم بسبب ذلك ولهذا قال فرعون ولا يكاد يبين يعني لا يفصح كثيرا عما يقول وذلك ان في لسانه لصقة واللصقة كما يقال بالظم - 00:13:59
يقلب الراء غين او لاما او يقلب السين ثاء مثل ما يقول سافر اذا كان في لسانه لصغة قال سافر يقلب السين واذا او يقلب الراء غينا قال دبر بالراء دبر اموره - 00:14:25
يقول اذا من فيه لدغة دبر يقلب الراء غينا وهو عليه الصلاة والسلام قادر على الكلام ويفصح الا ان في لسانه لثغة ثم قال فلولا القي عليه اسورة من ذهب - 00:15:00
اوجاء معه الملائكة مقترنين جاء موسى عليه الصلاة والسلام بايات عظيمة واضحة جلية لكل من له بصيرة ومعرفة يدرك هذا ومع هذا فرعون اللعين صرف النظر عن هذه الايات كلها وقال هلا سورت - 00:15:23
يداه بسوارين من ذهب يدل على صدقه لانهم من عادتهم انهم اذا روثوا شخصا ما لبسوه سوارين من ذهب والبسوه طوقا من ذهب في عنقه ويقول ان كان صادق ومرسل من عند ملك قادر - 00:15:56
فكان قد اعطاه علامة وهذه العلامة يعطيه سوارين من ذهب ويجعل في عنقه طوقا من ذهب ليدل على صدقه يتعامى عن الايات

العظيمة وبحث يطلب شيئا تافها فلولا القي عليه اسورة - 00:16:27
اسورة جمع سوار وهو ما يوضع في اليد من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين. يأتينا وحده ما معه احد يخدمه لو كان مرسل من عند الله الملك كما يزعم كان ارسل معه مجموعة من الملائكة يخدمونه - 00:16:57
يمشون معه ويسيرون في ركابه ويدافعون عنه طلب هاتين واعرض عن ايات عظيمة فلولا القي عليه اسورة من ذهب او جاء معه الملائكة مقترنين فاستخف قومه فاطاعوه استخفهم استخفهم بمعنى - 00:17:22
استجهلهم او استخفهم طلب منهم الخفة والسرعة الاجابة لما يطلب منهم لا يريد منهم ان يتأملوا او ينظر في مطلبه بل امرهم بالاسراع حتى لا يتفكروا في شيء ما عاوز تخفهم بمعنى استجهلهم - 00:18:00
وكانوا فيهم من الجهل الشيء العظيم فاطاعوه استجابوا له لماذا انهم كانوا قوما فاسقين خارجين عن الطاعة فلما دعاهم فرعون الى ما دعاهم اليه استجابوا له لفسقهم وجهلهم وضلالهم والا فلو كان عندهم شيء من الحكمة - 00:18:35
فنظروا وقارنوا بين ما يطلب فرعون اللعين وبينما جاءهم به موسى عليه الصلاة والسلام من الهدى والبينات والدلائل القاطعة على توحيد الله جل وعلا وعلى صدقه عليه الصلاة والسلام فاستخف قومه فاطاعوه - 00:19:14
انهم كانوا قوما فاسقين قال الله جل وعلا فلما اسفونا انتقمنا منهم اسفونا اغضبونا اسخطونا فلما اسفونا اسف على كذا بمعنى غضب عليه واسف بمعني تأسف وتأثر من شيء ما - 00:19:43
فلما اسفونا اغضبونا والله جل وعلا يغضب وهو منزه عن مشابهة المخلوقين جل وعلا في صفاتهم الله جل وعلا موصوف في صفات الكمال والغضب في حقه جل وعلا كمال وعزة - 00:20:20
ويجب ان يثبت لله جل وعلا ما اثبته لنفسه وما اثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تشبيه ولا تمثيل لا نشبه غضب ربنا جل وعلا بغضب المخلوقين - 00:20:52
وتنزيها بلا تعطيل ننزه ربنا جل وعلا عن صفات المخلوقين ولا نعطله من صفاته فلما اسفونا انتقمنا منهم يعني انتقم الله جل وعلا منهم في العذاب فعذبهم بماذا فاغرقناهم اجمعين. اهلكهم الله جل وعلا بالغرق - 00:21:16
الذي تبجح به موسى تبجح به فرعون في قوله اليس لي ملك مصر وهذه الانهار تجري من تحت فاهلكه الله بالغرق الماء الذي تعزز به فاغرقناهم اجمعين لم يترك منهم جل وعلا احد - 00:21:47
وذلك ان الله جل وعلا امر موسى ان يتوجه ببني اسرائيل ومن امن معه واتجهوا الى جهة البحر فلما وصلوا الى البحر وتبعهم فرعون قال قوم موسى لموسى انا لمدركون - 00:22:13
هلكنا البحر امامنا وفرعون من خلفنا فلا مفر لنا كيف اتيتنا بهذا من هذا الطريق فقال عليه الصلاة والسلام كلا ان معي ربي سيهدين فلما وصل موسى الى البحر اوحى الله جل وعلا اليه ان اظرب بعصاك البحر - 00:22:34
عصا يعتمد على يمشي عليها اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم وصار كالجدار جدار الزجاج وصار مسالك وارسل الله جل وعلا الريح فايبست الارض وصاروا يمشون في ارض البحر ارض يابسة - 00:23:01
فمشؤوا فيها ثم تبعهم فرعون ودخل معهم في البحر فلما خرج اخر قوم موسى عليه الصلاة والسلام من البحر واستكمل فرعون وقومه داخل البحر امر الله جل وعلا البحر عليهم ان ينطبق - 00:23:26
من طبق فغرقوا فكانت اجسامهم للغرق وارواحهم للحرق والعياذ بالله. النار يعرضون عليها غدوا وعشيا. ويوم تقوم الساعة ال فرعون اشد العذاب فجعلناهم سلفا مقدمة بين يدي كل ظالم يأتي من بعدهم - 00:23:49
المؤمن سلفه النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة رضي الله عنهم الكرام والكافر والفاجر سلفه الظالمون قبله وجعلناهم سلفا لكل من سلك مسلكهم من الظالمين ومثلا للاخرين مثلا موعظة او انها قصة غريبة كقصة المثل - 00:24:25
تؤخذ وتكون عبرة ولفت نظر لكل ظالم بانه ان استمر على ظلمه كما قالوا كمآل فرعون ومن معه والله جل وعلا يمهل للظالمين في الدنيا فاذا اخذهم اخذهم اخذ عزيز مقتدر - 00:24:59

والله اعلم وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى اله وصحبه اجمعين - 00:25:27